الاسكان الجامعى .. الوجه الآخر

إذا كان الحديثُ عن الاسكان الجامعى ، فان اول ما يتبادر الى الذهن هو ان يكون حديثا عن تأخر الباصات ، أو عدم جودة الوجبات ، او عن نقص الهواتف ووسائل التسلية والترفيه داخل الاسكان ، إلى آخر تلك المحفوظة او الانشودة التى يتغنى بها ـ مع انغام الناى كل ساكن أو بالأحرى مسكين ـ فى ذلك السكن ، يسر بها أحيانا ، ويجهر أخرى ، متحملا كل اصداء كلماته التى ينشرها منبره الأول « صوت الجامعة » أو سواه .

إذا كان هذا الجانب المظلم هو شعار إسكاننا البارز ، ووجهه الظاهر فإن له جانبا اخر مضيئا ساطعا ، إلا انه خفى حتى على اكثر الذين عاشوا فيه اربع سنوات او يزيد .

ولا أزعم أو ادعى انى ادركت ما عجز عن إدراكه الكثيرون ، أو امتلكت تلك النظارة السحرية التى ابصرت بها خفايا ذلك الجانب . بل حسبى ان اشير الى بعض معالمه البارزة لأنال بها سبق اكتشافه ـ ولو على الورق ـ

ان اول تلك المعالم هى الروح الاخوية الدافئة التى تحس بها فى ظلال « امم سكنية متحدة » قد منح عضويتها اكثر من ٤٠ دولة ، كلها تتمتع بنفس الحقوق والواجبات ، ليس بينها من يملك حقا او « باطلا » لا يملكه غيره ، فى ظلال هذه الهيئة السكنية السامية لا توجد اى نزاعات ولا مفاوضات ، لأن جميع اعضائها قد رموا بكل السياسات عرض الحائط ، وكفروا بكل الخلافات المدمرة المفتعلة ، وآمنوا بالحب والاخوة والمساواة .

كل واحد فى هذا البيت المعمور يعانق اخاه بحرارة ويحييه ويبش فى وجهه بكل صدق ومحبة .

والمعلم الثانى هو انك تقابل العالم كله من الهند إلى اقصى ادغال افريقيا فى عمارة واحدة ، فتخرج بثقافة عامة عن كل بلد وعلى لسان شاهد او شهود منه ، ماكان يمكنك الحصول عليها إلا بعد ترحال وتجوال طويلين .

واذا كان اسكاننا يمثل هذا الامتداد الجغرافى ، فإنه كذلك يمتد امتدادا نفسيا ارحب واوسع ، ففيه تقابل كل اصناف الناس ، تجد المثقف الواعى ، والفنان المبدع : رساما بارعا وخطاطا مجيدا وشاعرا عملاقا وموسيقيا موهوبا ، كما تجد الكوميدى الظريف الذى لا تمل جلساته ، ناهيك عن الفيلسوف المتأمل ، والعاشق المتيم الذى يروى لك من اخباره ، فينسيك قيسا وليلى واضرابهما الى ما لا يحصى من انواع المواهب واصناف البشر .

وعلى العموم فان الاسكان الجامعى قد احتل من القلب مكانا كبيرا ونزل منه منزلة عظيمة ، وامل ان يكون فى هذه الاسطر القليل من الاعتراف له بما نكن له من حب واجلال .

عبد الله ولد عبد المالك

• لغة عربية/ صحافة